

خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



32. كيف تنهزم عقيدتكم

أمــام الأشبــاح والـخيــالات؟

24 ربيع الأوّل 1380هـ الـموافق 16 سبتمبر 1960م

الـحمد لله الّذي يعلم ما يـجري فـي كونه من تطوّرات وحوادث بين عباده، فيعزّ من يشـاء ويـذلّ مـن يشاء، بيده الـخير، إنّه على كلّ شيء قدير، وأشهد أن لا إلـه إلّا الله، وحـده لا شريـك لـه، اختـصّ بعلـم الغيب فـي ملكه وحده، {عَالِـمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْـمُتَعَالِ} الرعـد: 9، وأشـهد أنّ مــحمّدًا عبـده ورسوله الّذي اصطفاه من بين خلقه، وفضّله عليهم بتبليغ رسالته، ونشر دينه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه، حماة الإسلام، وقادة النّظام، ورجال الـحكمة، ودعاة الـخير، وهداة الأنام، رضي الله عنهم أجمعين.

أمّا بعد: فإنّ لكلّ شيء أجلًا مـحدودًا، كمـا أنّ لكلّ أمر بداية، وله نهاية كذلك، لا يدوم أيّ أمـر علــى حال أبدًا، وكلّ عمل دينيّ أو دنيويّ لا بدّ أن يأخذ دورًا من التّطوّرات الـحيويّة، فتتّسـع أرجـاؤه، وتعـمّ أنظمته وأساليبه علـى مــجموعة مـن الإنسـانيّة، حسـب قـدرة الأشـخاص الّـذين يــحملونه ويـؤدّون واجباته، وكذلك حسب الكفاءة العقليّة والفكريّة، والنّشاط العملـيّ الذي يُـخرج الأشياء من العدم إلـى الوجود، ومن الصورة الـخياليّة إلـى الواقع الـحسّيّ.

وهكذا اقتضت سنّة الله أن يُـحيي الأمم بعد مـماتها، ويبعـث فيهـا روح اليقظة والتّجـدّد، ويــجعلها صالـحة للقيام بواجب الـحياة، وخدمة الدّين، ونشر أنواع الـخير والفضائل بين أفراد البشـر، صالـحهم وطالـحهم، كمـا اقتضت سنّته أن يُـحيي الأرض بعد موتها، والـحبّة بعد يبسها وجفافها، كمـا قال جـلّ شأنه: {أَوَلَـمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْـمَـاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْـجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُـهُمْ أَفَـلَا يُبْصِرُونَ} السجدة: 27.

وكمـا قال جلّ شأنه: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْـمَـاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْـحَقُّ وَأَنَّهُ يُـحْيِي الْـمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)} الحج: 5-6.

إذا كانت هذه القدرة الإلـهيّة تفعل الأعاجيب، وتبدع الأنـواع الـمختلفة من أنـواع الـحياة، فكيف يضعف إيمـانكم بربّكم، وتنهزم عقيدتكم أمام الأشباح والـخيالات، حتّى أصبحتم تفقـدون وعـيكم وشعوركم أمام هذه الغيوم التي لا بدّ أن تنجلي، ويعقبها الصّبح الـمنير، والنّهار الوضّاح.

وإنّمـا الله -جلّ شأنه- ليس عاجزًا على أن يبدّل عسركم يسرًا، وضيقكم سعة وخيرًا، وإنّمـا الله لـم يكن راضيًا على تصرّفكم، وانحرافكم عن ديـنكم وأخلاقكـم وسـنّة رسـولكم، ولكـن يطلـب مـنكم الاستقامة، والسّير على قوانينه الـمشروعة، والإخلاص له فـي أقوالكم وأعمـالكم، فإن تـمرّنتم علـى هذه الأسس فإنّه قادر على أن يمدّ لكم يد الـمساعدة، وأن يستجيب لـدعائكم، كمـا قـال جـلّ شـأنه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّـي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِـي وَلْيُؤْمِنُـوا بِـي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُدُونَ} البقرة: 186.